

This PDF was generated on 05/01/2017 from online resources as part of the Qatar Digital Library's digital archive.

The online record contains extra information, high resolution zoomable views and transcriptions. It can be viewed at:

http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12958

Reference 12958

Title Nymphs of the Valley

Date(s) 1922 (CE, Gregorian)

Written in Arabic in Arabic

Extent and Format 39 items

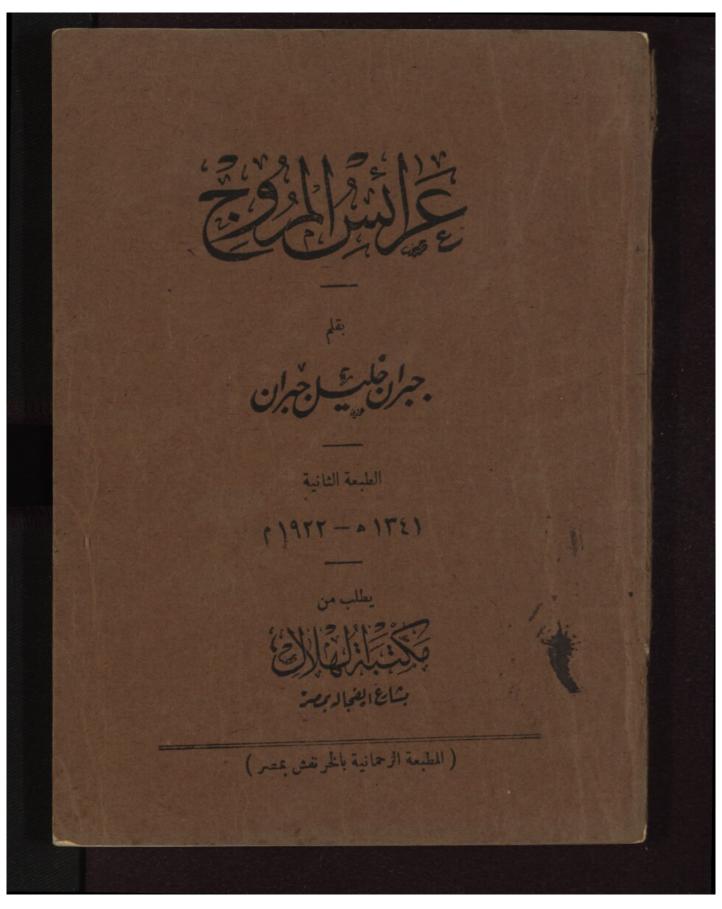
Holding Institution Qatar National Library Heritage Collection

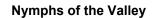
Copyright for document Creative Commons Attribution Licence

About this record

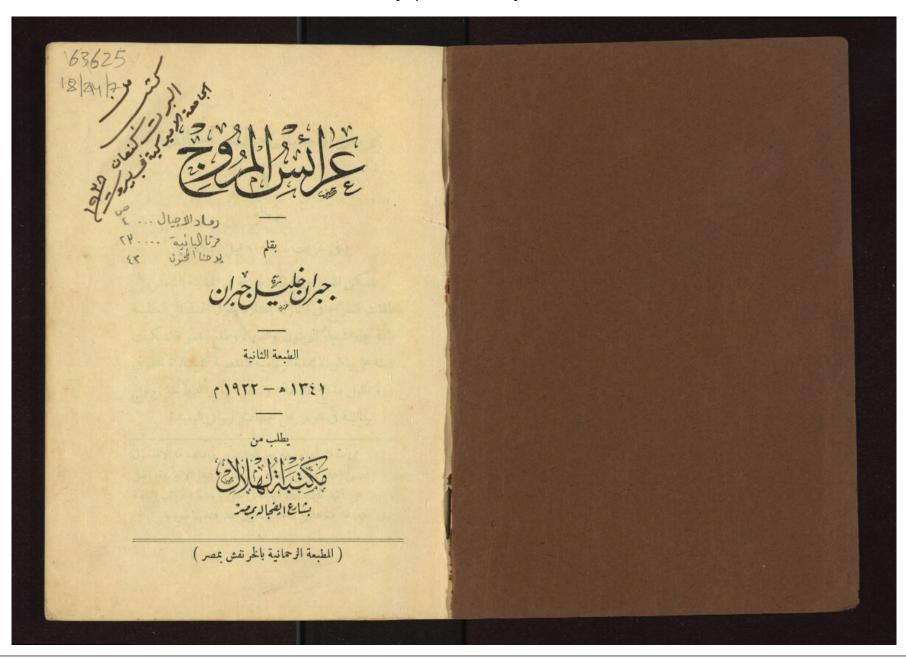
'Arā'is al-Murūj (Nymphs of the valley) is a collection of short stories by the celebrated Lebanese-American author and artist Gibran Khalil Gibran. Gibran was born in 1883 to a Maronite Catholic family in the village of Bsharri in the north of Lebanon. His family immigrated to the United States in 1895, where he began his formal schooling, studying English and art. He is best known in the West for his book The Prophet, which was completed in 1923 and subsequently translated into more than 40 languages. Gibran died in New York City in 1931; he was buried in Lebanon according to his wishes. The book consists of three stories: Ramād al-ajyāl wa al-nār al-khālida (The dust of ages and the eternal flame), Martā al-bāniya (Martha of Ban), and Yūḥanna al-majnūn (Yuhanna the mad). Nymphs of the Valley was translated into English by H.M. Nahmad in 1948, and it has been translated as well into Spanish, Persian, and other languages. The present copy is the second printing of the book, published by al-Hilāl in Cairo in 1922.

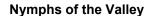




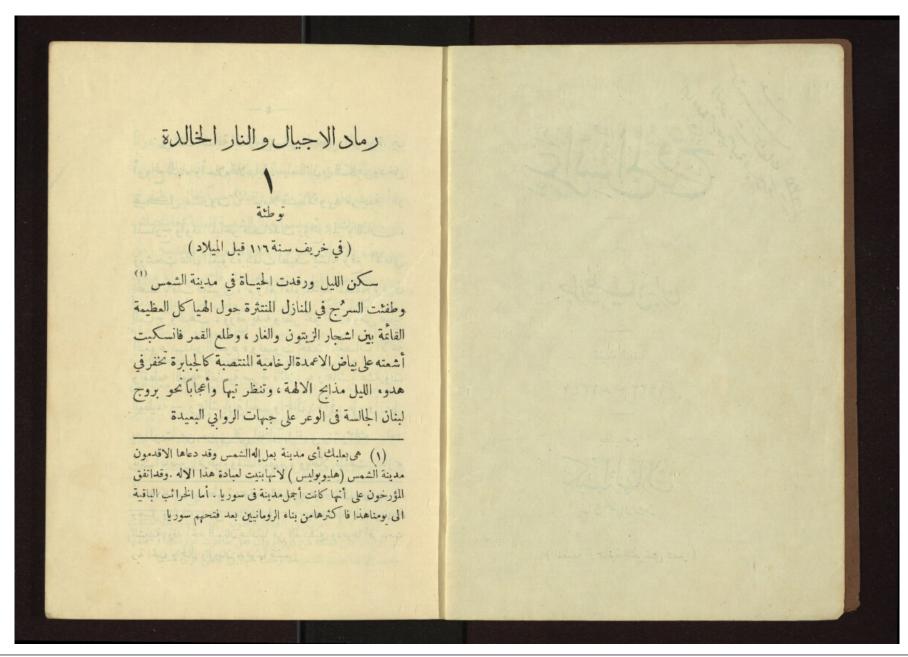




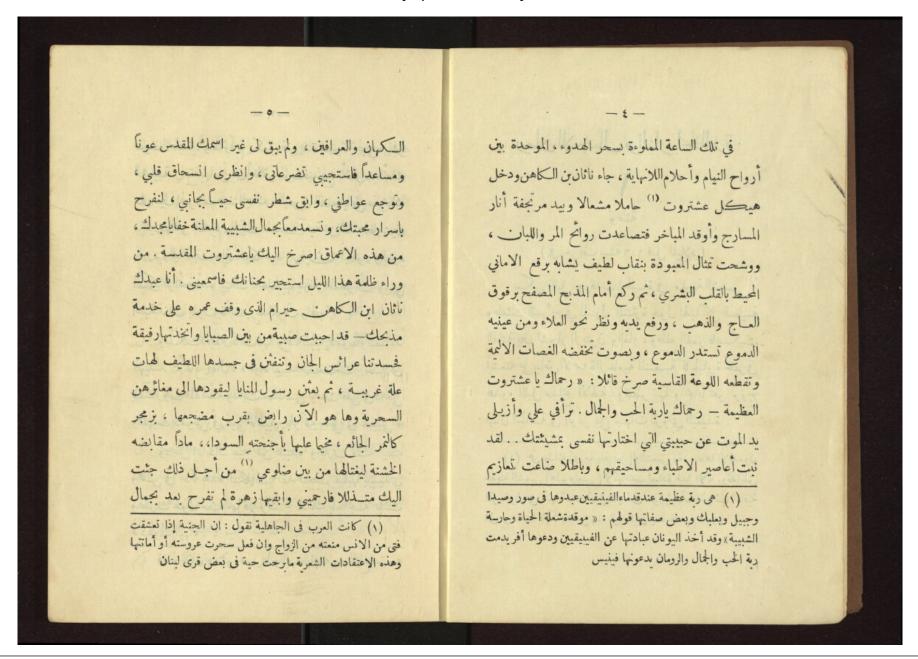








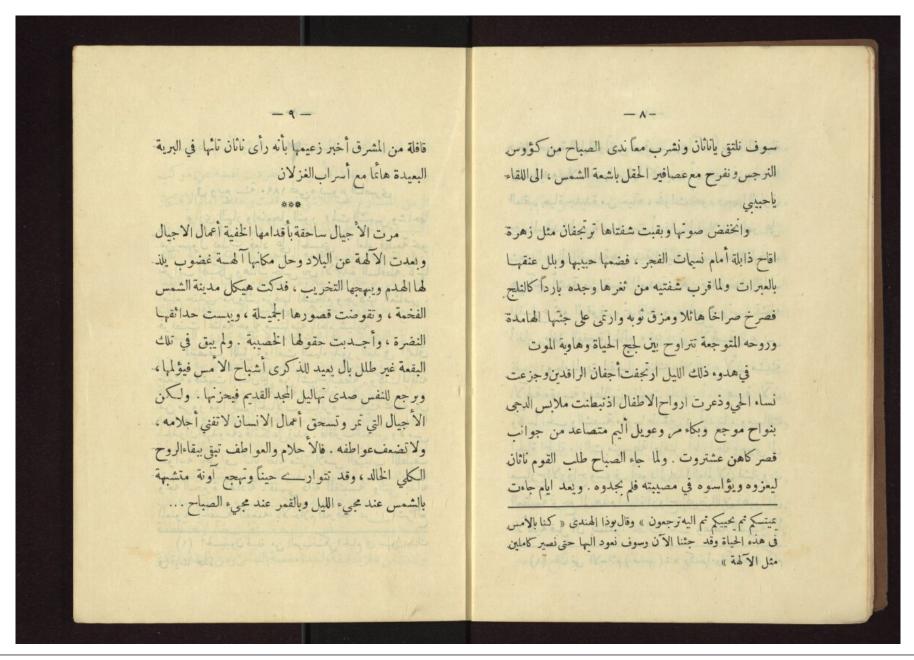




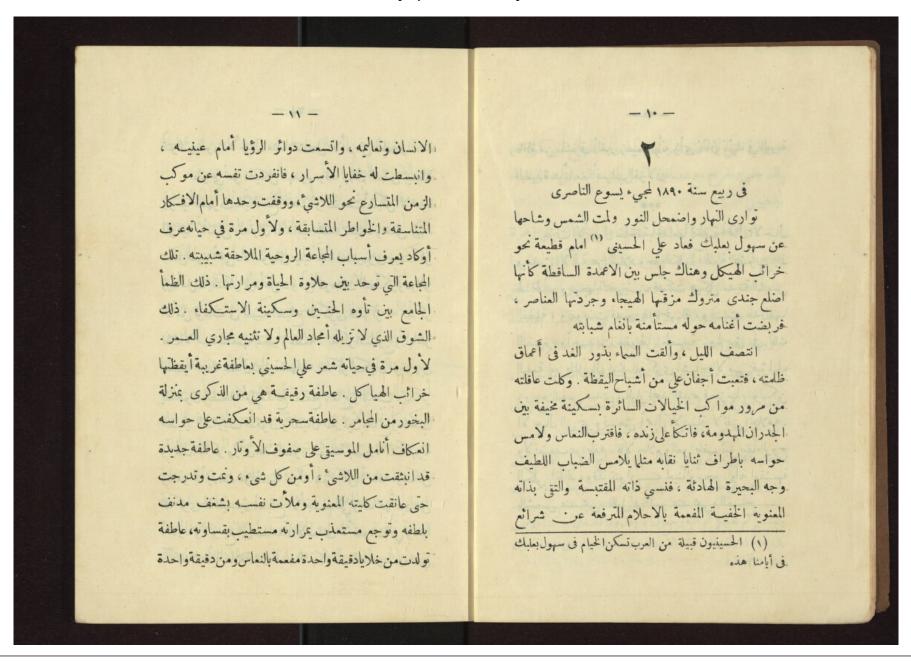


دخل حجرة العليلة وانحني فوق سربرها آخذاً بدها النحيلة صيف الحياة ، وطائراً لم يكمل تغريدة مسرته لجي، فجر بين يديه مقبلا شفتيها مراراً كانه يريد أن ينفخ في جسدها الشبيبة . انقذيهامن بين أظافر الموت فنبتهج بأغاني مدائحك السقيم حياة جديدة من حياته ، فحولت نحوه وجهها الغارق مقدمين المحرقات لمجد اسمك ، ناحرين الضحاياعلى مذكك مالئين بالخر القديم والزيت المطيب آنية خزائنك ،فارشين بين المساند الحريرية ، وفتحت أجفانها قليلا ، وظهر على بالورد والياسمين رواق هيكاك ، محرقين البخور والعود شفتيها خيال ابتسامة هي بقية الحياة في جسدها اللطيف، هي آخر أشعة من نفسها المودعة _ هي صدى نداء القلب الذكي الرائحة أمام تمثالك. خلصها ياربة المعجزات ودعى المتسارع نحو الوقوف. ثم قالت ومقاطيع صوتها تشابه الحبة تغلب الموت فأنت ربة الموت والمحبة أنفاس طفل الفقيرة الجائع » قد نادتني الآلهـــة يا عريس وسكت دفيقة كانت فها لوعته تسيل دمو عاو تتصاعد نفسي، وجاء الموت ليفصلني عنك، فلا تجزع لأن مشيئة تنهيداً. ثم عاد فقال: « اواه لقد تضعضعت أحلامي الآلمة مقدسة ومطاليب الموت عادلة . أنا ذاهبــة الآن ياءشتروت المقدسة وذابت حشاشتي ومات قلبي في داخلي وكأسا الحب والشبيبة مارحا طافين في أيدينا، ومسالك والتهبت دموعي في عيني فاحييني بالرأفة وابق لي حبيبتي » الحياة الجميلة مازالت منبسطة أمامنا . أنا راحلة ياحبيي الى ودخل اذ ذاك عبد من عبده واقترب منه بيطء مسارح الارواح وسوف أعودالي هذا العالم لان عشتروت وهمس في أذنه هذه الكلمات: لقد فتحت عبنيها باسيدي العظيمة ترجع الىهذه الحياة أرواح الحبين الذين ذهبوا الى ونظرت حول مضجمها فلم ترك ثم نادتك بلجاجة فجئت الأبدية قبل أن يتمتموا علذات الحب وغبطة الشبيبة (١) لادعه ك اليا» (١) قال نبي الاسلام (صلعم): « وكنتم أمواتاً فأحيا كمثم فقام ناثان ومشي مسرعا والعبد يتبعه. ولمابلغ صرحه











- 14-

حياة فني ولد بين المضارب وصرف ربيع عمره يرعى قطيعاً من الغنم في البرية ؟ الله المحالي المالية المالية

قام علي ومشى بين الحجارة المتقوضة و تذكاراته البعيدة تزيح أغشية النسيان عن مخيلته مثاما تزيل الصبية نسيج العنكبوت عن باور مراتها . حتى إذا ما بلغ صدر الهيكل وقف كأن في الارض جاذباً يتمسك باقدامه فنظر وإذا به أمام تمثال مهشم ملق على الحضيض فركع بجانبه على غيرهدى وعواطفه تتدفق في أحشائه مثاما يتسارع نزيف الدماء من جوانب الكاوم البليغة ، و نضبات قلبه تتكاثر و نتهامل مثل أمواج البحر المتصاعدة المنخفضة . خشع بصره و تأوه بمرارة وبكى بكاء ألياً لا نه شعر بوحدة جارحة و بعاد متلف فاصل بين روحه و روح جيلة كانت بقر به قبل مجيئه الى هذه الحياة . شعر بان جوهر نفسه لم يكن غير شطر من شعلة متقدة فصلها الله عن ذاته قبيل ابتداء الدهر . شعر بحفيف اجنحة فصلها الله عن ذاته قبيل ابتداء الدهر . شعر بحفيف اجنحة مشعر بالحب القوي العظيم يشهل قابه و يمتلك إنفاسه . ذلك

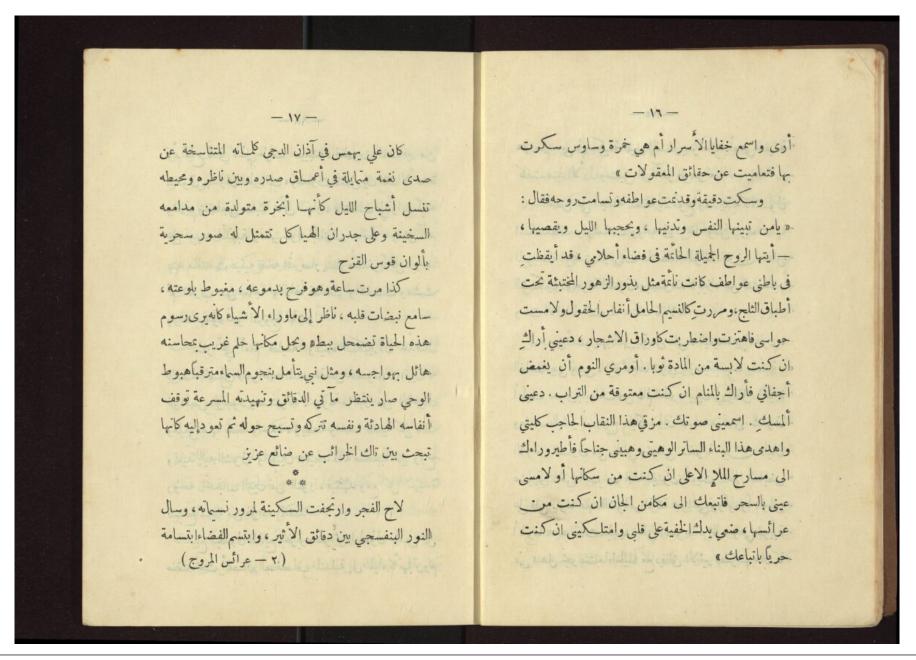
- 17 -

تتولد رسوم الأجيال مثاما تتناسل الأمممن نطفة واحدة نظرعلى محو الهيكل المهدوم وقد تبدل النماس بيقظة روحية فظهرت بقاياللذبح المخدشة واتضحت أماكن الاعمدة المرتمية وأسس الجدران المتداعية فجمدت عيناه وخفق قليه ومثل ضربوأعمى عاد النورالي عينيه فحأة فصاربي ويفتكر ويتأمل _ يفتكر ويتأمل _ ومن تموجات التفكرودواثر التأمل تولدت في نفسه أشباح الذكري فتذكر - تذكر تلك الاعمدة منتصبة بفخر وعظمة . تذكر المسارج والمباخر الفضية محيطة بتمثال معبودة مهالة . تذكر الكهان الوقورين يقدمون الضحايا أمام مذبح مصفح بالعاج والذهب. تذكر الصبايا الضاربات الدفوف والفتيان المترنمين عدائح ربةالحب والجال تذكر ورأى هذه الصور متضحة لبصير ته المتكررية وشعر بتأثيرات غوامضها تحرك سواكن أعماقه ولكن الذكرى لاتعيدغير أشباح الأجسام التي تراها فما غبر من أعمارنا ولاتوجع الىمسامعنا الاصدى الأصوات التي وعتها آذاننا، فأية علاقة ببن هذه التذكارات السحرية وماضي



هو حلم سعى في سكينة الليل ليسخر بعو اطفه ،أمهي حقيقة الحب الذي يبيح مكنونات النفس للنفس ويفصل بتفاعيله كانت منذ الأزل وستيق الى آخر الدهر » بين العقل وعالم المقاييس والكمية. ذلك الحب الذي نسمعه متكلما عند ماتخرس ألسنة الحياة ونراهمنتصبأ كعمو دالنور اغمض على أجفانه المغلقة بالدموع ومديديه كالمتسول عند مأتحج الظامة كل الاشياء. ذلك الحد ، ذلك الاله المستعطف وارتعشت روحه في داخله ومن أرتعاشاتها قد هبط في تلك الساعة الهادئة على نفس على الحسيني المتواصلة انشقت الزفرات المتقطعة المؤلفة ببن تذلل وأيقظ فيها عواطف حاوة ومرة مثاما تستنبت الشمس الشكوى وحرقة الشوق، وبصوت لا يمزه عن التنهدغير رنات الالفاظ الضميفة هتف قائلا: الزهور كانب الاشواك. « من أنت أيتها القريبة من قلى ، البعيدة عن ناظرى، ولكن ماهذا الحب ، ومن أبن أتى ، وماذا بريد من الفاصلة بيني وييني . الموثقة حاضري بأزمنة بعيدة منسية ، في رابض مع قطيعه بين تلك الهياكل الرميمة ؟ ما هذه الخرة السائلة في كبدلم تحركه قط لواحظ الصبايا. وما هذه أطيف حورية جاءت من عالم الخلود ليبين لي بطل الحياة وضعف البشر أم روح مليكة الجان تصاعدت من شقوق الاغنية السماوية المتموجة في مسامع بدوي لم يطربه بعد-شدو النساء؟ الارض لتسترق مني عاقلتي وتجعلني سخرية بين فتيان ماهذا الحب ومن أين أتى وماذا يريدمن على المشغول عشيرتي ؟ من أنت وما هذا الفتون المميت المحيي القابض على قلبي . وما هذه الشواعر المالئة جوانحي نوراً وناراً ؟ ومن عن العالم باغنامه وشبابته ؟ هل هي نواة القتها محاسن بدوية أنا وما هذه الذات الحديدة التي ادعوها « إنا » وهي غريبة بين أعشار قلبه على غير معرفة من حواسه، أم هو شعاع كان محتجباً بالضباب وقد ظهر الآن لينير خلايا نفسه ؟هل عنى ؟ هل تجرعت ماء الحياة مع دقائق الاثير فصرت ملاكا





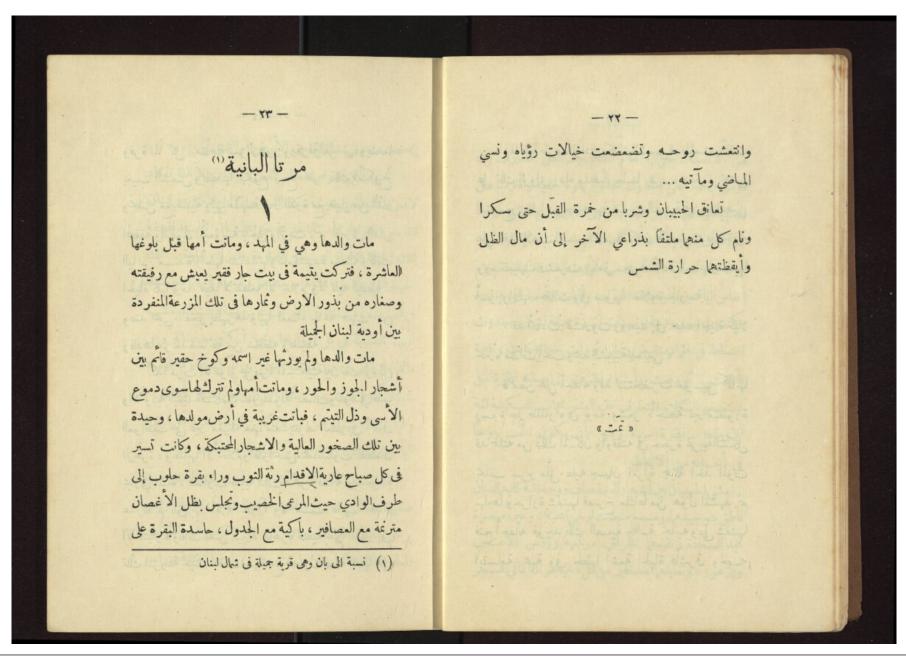


امتصاص عذوبتها ، وانثنت نعاجه ترتمي الاعشاب وندى نائم لاح له في الحلم طيف حبيبته ، فظهرت العصافير من الصباح يتلمع على بياض صوفها ، ولم تمر دقيقة حتى شمر شقوق جدران الخرائب، وصارت تنتقل بين تلك الأعمدة وتترنم وتتناجى متنبئة عأتى النهار ، فانتصب على واضعالده بتسارع نبضات قلبه وتضاعف اهتزازات روحه ومثل راقد على جبهته الملتهبة ونظر حوله بطرف جامد ، ومثل آدم أجفلته أشعة الشمس تحرك وتلفت حوله فرأى صبية قد ظهرت من بين الأشجار تحمل جرة على كتفهاو تتقدم على عند مافتحت عمنيه نفخه الله صار ينظر مستغرباً كل مايراه. مهل نحو الغديروقد بلل الندي أقدامها العاريتين. ولما بلغت ثم اقترب من نماجه وناداها فقامت وانتفضت ومشت حافة الجدول وانحنت لتملأ جرتها التفتت بحو الحافة المقابلة وراءه مهدور نحو المروج الخضراء فالنقت عيناها بعيني علي فشهقت ورمت بالجرة ثم تواجعت سار على أمام قطيعه وعيناه الكبيرتان محدقتان قليلا إلى الوراء وشخصت به شخوص ضائم وجد من بالفضاء الصافي وعواطفه المنصرفة عن الحسوسات تبين له يعرفه ... مر ت دقيقة كانت ثوانيها مثل مصابيح تهدي غوامض الوجود ومستتراته ، وتربه ما غبر من الاجيال قلبيها إلى قلبيها ، مبتدعة من السكينة انغاماً غريبة تعيد وما بقي منها بلمحة واحدة ، وبلمحة واحدة تنسيه كل ذلك إلى نفسيها صدى تذكاراتمبهمة وتبين الواحد منهماللاخر وتعيد إليه الشوق والحنين ، فيجد ذاته منحجباً عن روح في غير ذلك المكان محاطاً بصور وأشباح بعيدة عن ذلك روحه انحجاب العين عن النور، فيتنهد ومع كل تنهيدة الجدول وتلك الاشجار، فكانكل منها ينظر إلى الآخر تنسلخ شعلة من فؤاده المتقد نظرة الاستعطاف ويتفرسه مستنطفا ملامحه مصغيالتنهيداته بلغ الجدول المذيع بخريره سرائر الحقول فجلس على بكلمافي عواطفه من المسامع ، مناجياً إياه بكل مافي نفسه صفته تحت أغصان الصفصاف المتدلية إلى المياه كأنها تروم

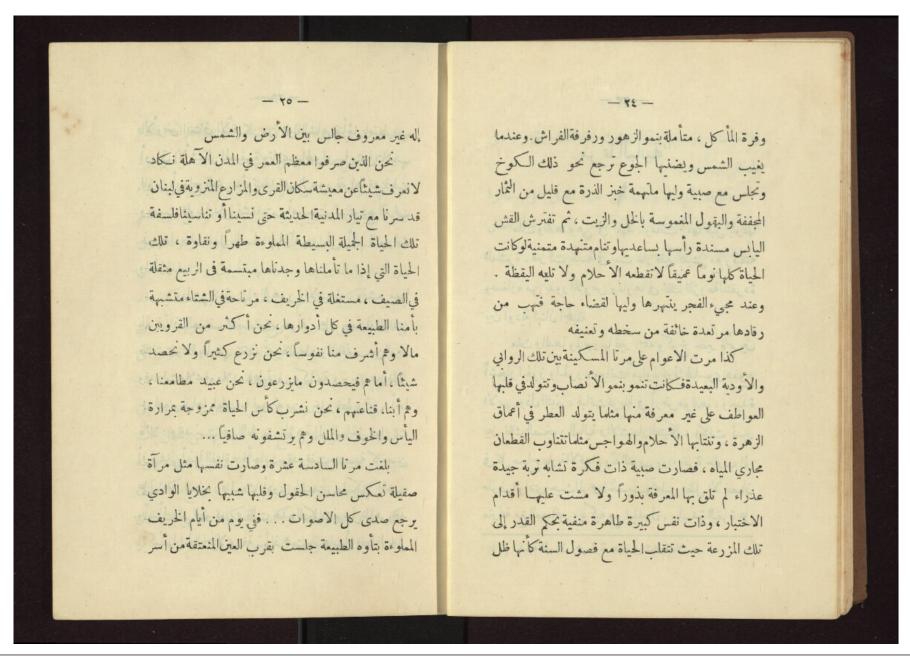


ولما بلغا طرف الوادى وكانت الشمس قدطلعت وألقت من الألسنة ، حتى إذا ماتم التفاهم وتكامل التمارف بين على تلك الروابي رداء مذهباً جلسا بقرب صخرة يحتمي الروحين عبر على الجدول مجذوباً بقوة خفية واقترب من البنفسج بظلها ، وبعد هنيهة نظرت الصبية في سوادعيني الصبية وعانقها وقبل شفتيها وقبل عنقهاوقبل عينها فلمتبد علي وقد تلاعب النسيم بشعرها كأن النسيم شفاه خفية حراكابين ذراعيه كأن لذة العناق قد التزعت منها إرادتها ، تروم تقبيلها ، وشعرت بأنامل سحرية تداءب لسانها وشفتيها ورقة الملامسة قد أخذت منها قواها فاستسامت استسلام أنفاس الناسمين لتموجات الهواء، وألقت رأسها على صدره أسر إرادتها ، فقالت وفي صوتها حلاوة جارحة : كمتعوب وجد راحة وتنهدت تنهيدة عميقة تشير إلى حدوث « قد أعادت عشتروت روحينا إلى هذه الحياة كيلا انبساط في فؤادمنقبض وتعلن ثورات جوانح كانت راقدة نحترم ملذات الحب وعد الشبيبة ياحبيي » فأفاقت ، ثم رفعت رأسها ونظرت إلى عينيه نظرة من فاغمض على أجفانه وقد استحضرت موسيقي كلاتها يستصغر الكلام المتعارف بن البشر بجانب السكينة لفة رسوم حلم طالمارآه في نومه وشعر بأجنحة غير منظورة الارواح _ نظرة من لا يرضى بأن يكون الحب روحاً قد حملته من ذلك المكان وأوقفته في حجرة غريبة الشكل في أجساد من الالفاظ بجانب سرير ملق عليه جسمان امرأة جميلة أخذ الموت مشى الحبيبان بين أشجار الصفصاف ووحدانية كليهالسان بهاءها وحرارة شفتيها فصرخ ملتاعاً من هول المشهد ثم ناطق بتوحيدها، ومسمع منصت لوحي المحبة ، وعين مبصرة فتح أجفانه فوجد تلك الصبية جالسة بجانبه وعلى شفتيها عبد السعادة ، تتبعها الخراف مرتمية رؤوس الاعشاب ابتسامة محبة وفي لحظها أشعة الحياة فأشرق وجهله والزهور، وتقابله المصافير من كل ناحية مرتلة أغاني السحر





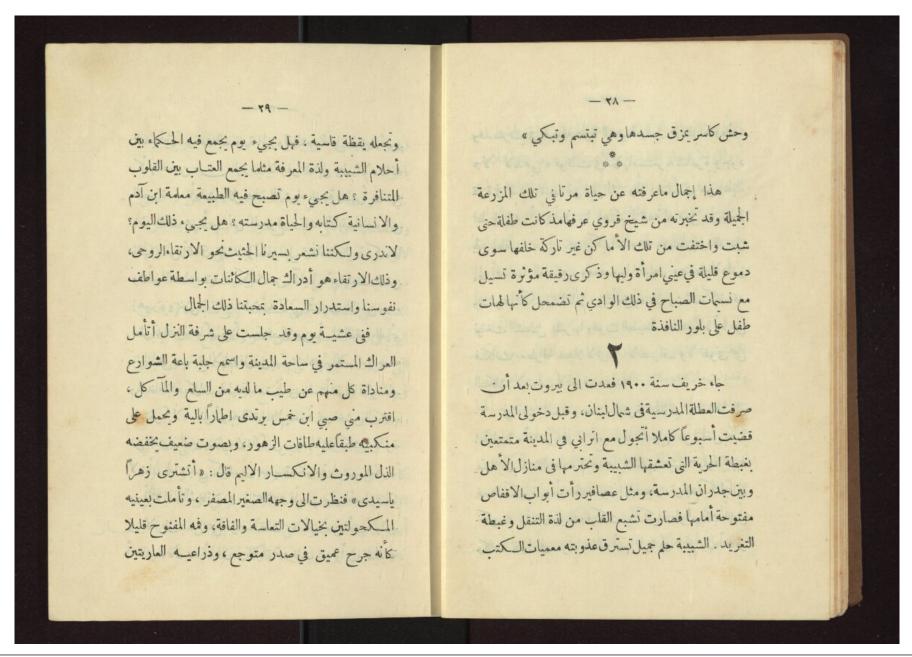




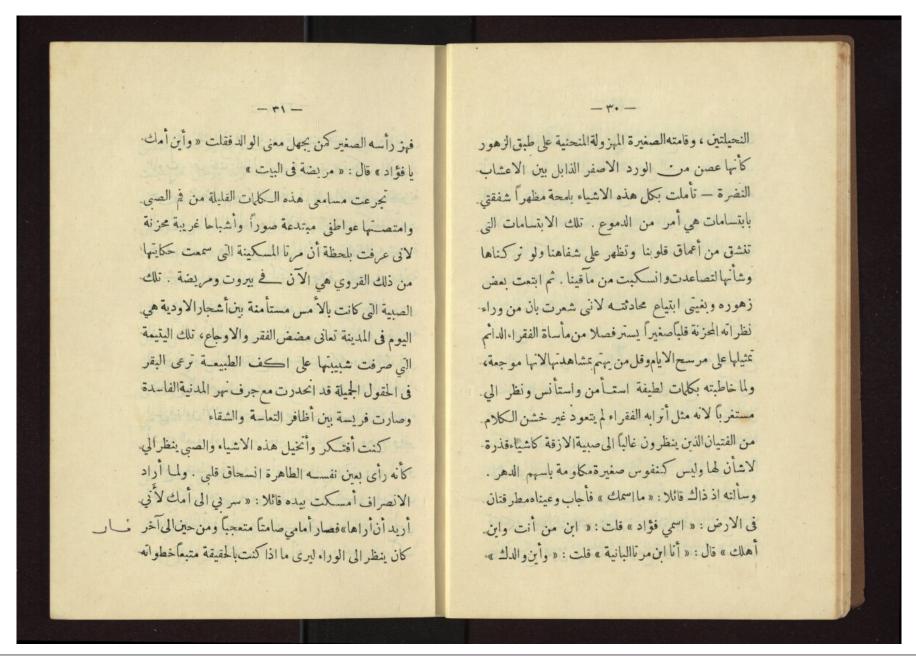


الأرض انعتاق الأفكار من مخيلة الشاعر تتأمل باصطراب وقد سرت في عروقه حمرة الشبيبة وتغيرت نظراته وقال: أوراق الأشجار المصفرة وتلاعب الهواء بها مثاما يتلاعب « لا لاندهي » فوقفت في مكانها مستغربة شاعرة بوجود الموت بأرواح البشر ، ثم تنظر نحو الزهور فتراها قد ذبلت قوة في صوته تمنعها عن الحراك. ولما اختلست من الحياء ويبست قلوبها حتى تشققت وأصبحت تستودع التراب نظرة إليه رأته يتأمل بها باهتمام لم تفقه له معني ، ويبتسم يذورها مثاما تفعل النساء بالجواهر والحلى أيام الثورات لها بلطف سحري يكاد يبكيهالعذوبته ، وينظر بمودة وميل إلى أقدامها العاريتين ومعصميها الجميلين وعنقها الاملس والحروب وشعرها الكثيف الناعم ، ويتأمل بافتتان وشغف كيف قد وينما هي تنظر إلى الزهور والاشجار، وتشعرمها بالم فراق الصيف سمعت وقع حوافر على حصباء الوادي لوحت الشمس بشرتها وقوت الطبيعة ساعديها ، أما هي فالتفتت واذا بفارس يتقدم نحوها ببط ولا اقترب من العين فكانت مطرقة خجلا لاتريد الانصراف ولا تقوى على وقددات ملامحهو ملابسه على ترف وكياسة ، ترجل عن ظهر الكلام لاسباب لاتعرف مفادها جواده وحياها بلطفما تمودته من رجل قط، ثم سألها في ذلك المساء رجمت البقرة الحلوب وحدها إلى قائلا : « قد تهت عن الطريق المؤدية إلى الساحل فهل لك الحظيرة ، أما مرنا فلم ترجع ، ولما عاد وليها من الحقل بحث أنتهديني أيتها الفتاة » فأجابت وقدوقفت منتصبة كالغصن عنها بن تلك الوهاد ولم بجدها فكان يناديها باسمها ولا يجيبه على حافة العين : « لست أدري ياسيدي ولكني اذهب غير الكهوف وتأوه الهواءبين الاشجار، فرجع مكتئباً الى . وأسأل وليي فهو يعلم » قالت هذه الكلمات بوجل ظاهر وقد كوخه وأخبر زوجته فبكت بسكينة طول ذلك الليل اكسبها الحياءجمالا ورفة : وإذ همت بالذهاب أوقفها الرجل وكانت تقول في سرها « فدرأيتها مرة في الحلم بين أظافر

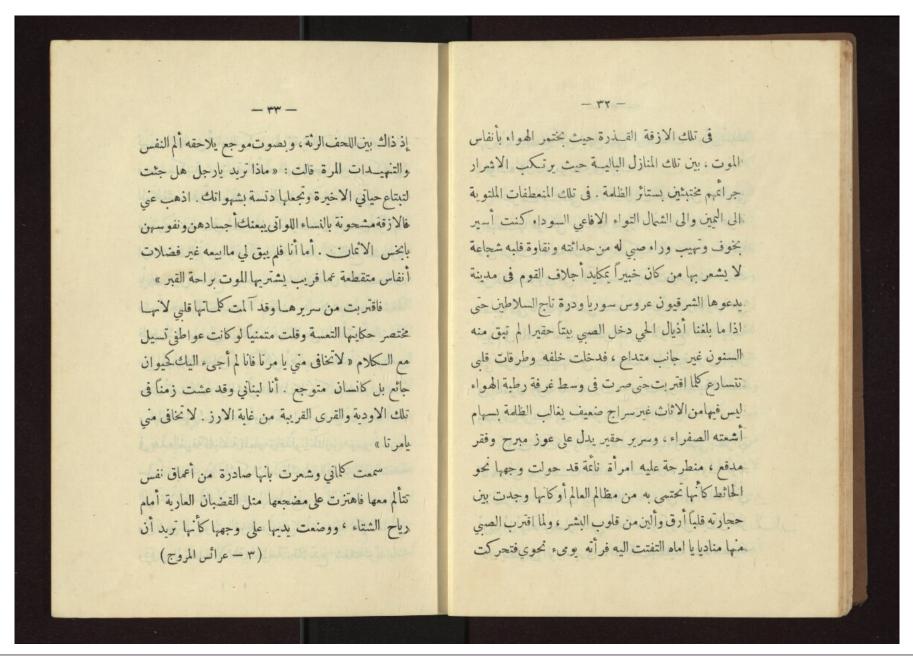








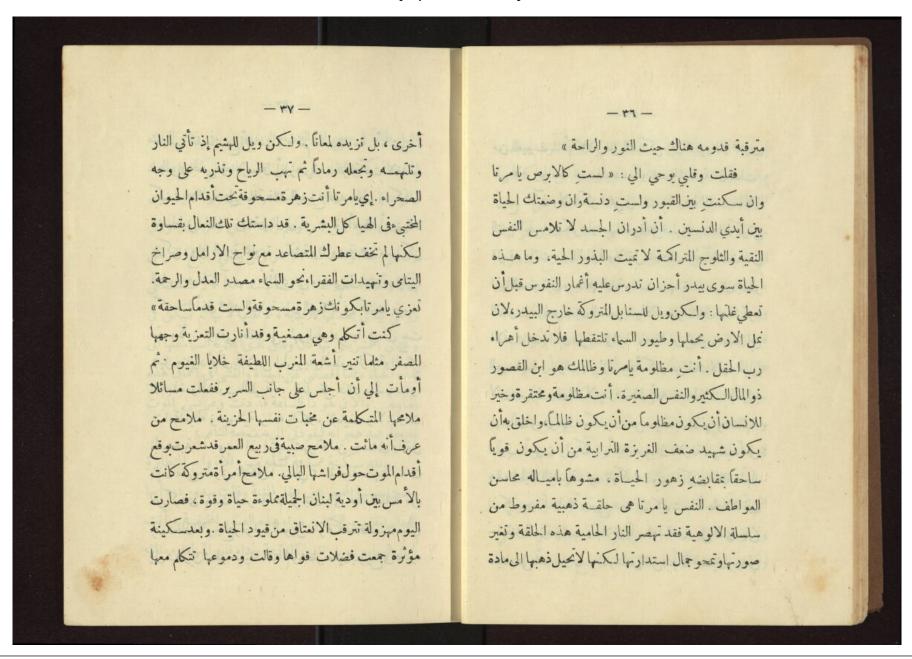






من العيوب .. أنا كالابرص الساكن بين القبور فلا تقترب تستر ذاتها من أمام الذكري الهائلة محلاوتها المرة مجمالها. منى لأن الجامعة تحسبك دنساً وتقصيك عنها إن فعلت. وبعد سكينة ممزوجة بالتأوه ظهر وجهها من بين كتفيها ارجع الآن ولانذكر اسمى في تلك الاودية المقدسة لان المرتجفتين فرأيت عينين غائرتين محدقتين بشيء غمير النعجة الجرباء ينكرهاراعيها خوفاعلى قطيعه. وإذا ذكرتني منظور منتصف في فضاء الغرفة، وشفتين يايستين تحركهما قل قد ماتت مر تاالبانية ولا تقل غير ذلك » ثم أخذت يدي ارتماشات اليأس ، وعنقاتسردد فيه حشر جة النزع المصحوبة بأنين عميق متقطم ، وبصوت يبثه الالتماس والاستعطاف ا بنها الصغير تين و فبلتها بايفة و قالت متنهدة: » سو ف منظر الناس الى ولدي بعين السخرية والاحتقار قائلين هذا عُرة ويسترجمه الضعف والألم قالت: « جنت محسناً مشفقاً فلتجزك السماءعني انكان الاحسان على الخطأة برأو الشفقة الاثم ، هـ ذا ابن مرتا الزانية ، هذا ابن العار ، هذا ابن الصدف - سوف يقولون عنه أكثر من ذلك لانهم عميان على المرذولين صلاحاً. ولكني أطلب اليك أن تعود من. لا يبصرون وجهلاء لا يدرون بان أمه قد طهرت طفولته حيث أتيت لان وقوفك في هذا المكان يكسبك عاراً ومذمة باوجاعها ودموعها ، وكفرت عن حياته بتعاستها وشقائها. وحنانك على يشمر لك عيباً ومهانة . ارجع قبل أن يراك أحد سوف أموت واتركه يتبم بين صبيان الازقة ، وحيداً في في هذه الغرفة الدنسة الماوءة باقذار الخنازير ، وسر مسرعاً هذه الحياة القاسية، غير تاركة لهسوى ذكري هائلة تخجله ساتراً وجهك باثوابك كيلا يعرفك عابر الطريق. أن الشفقة التي تملأ نفسك لا تعيد اليَّ طهارتي ، ولا تمحو عيوبي ، ان كان جبانًا خاملاً وتهيج دمه ان كان شجاعًا عادلا ، فان حفظته السماء وشب رجلا قوياً ساعد السماء على الذي جني ولا تزيل بد الموت القوية عن قلبي . أنا منفية بحكم تعاستي عليه وعلى أمه ، وإن مات وتملص من شبكة السنين وجدني وذنوبي الى هذه الاعماق المظامة ، فلا تدع شفقتك تدنيك

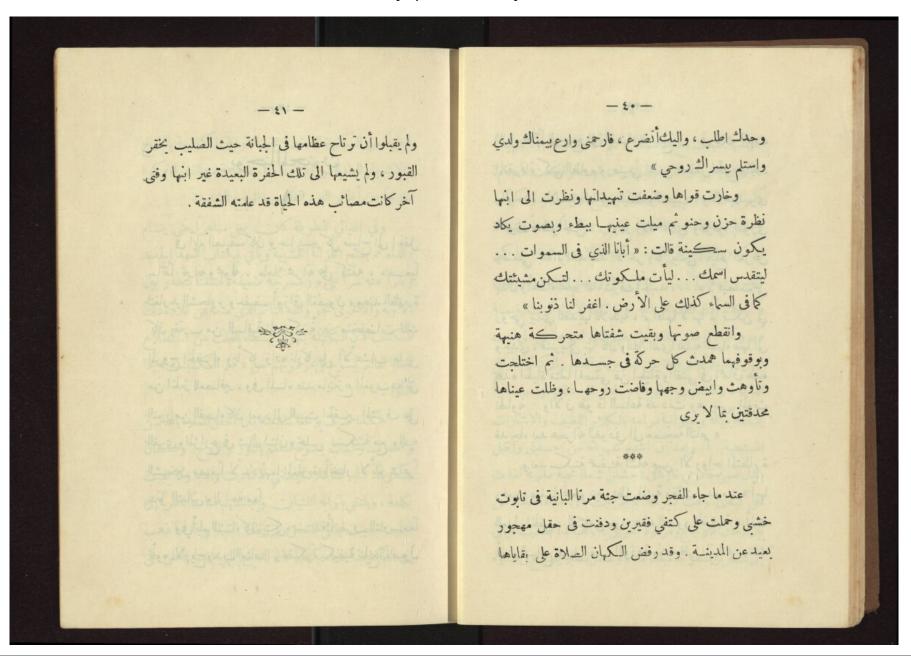




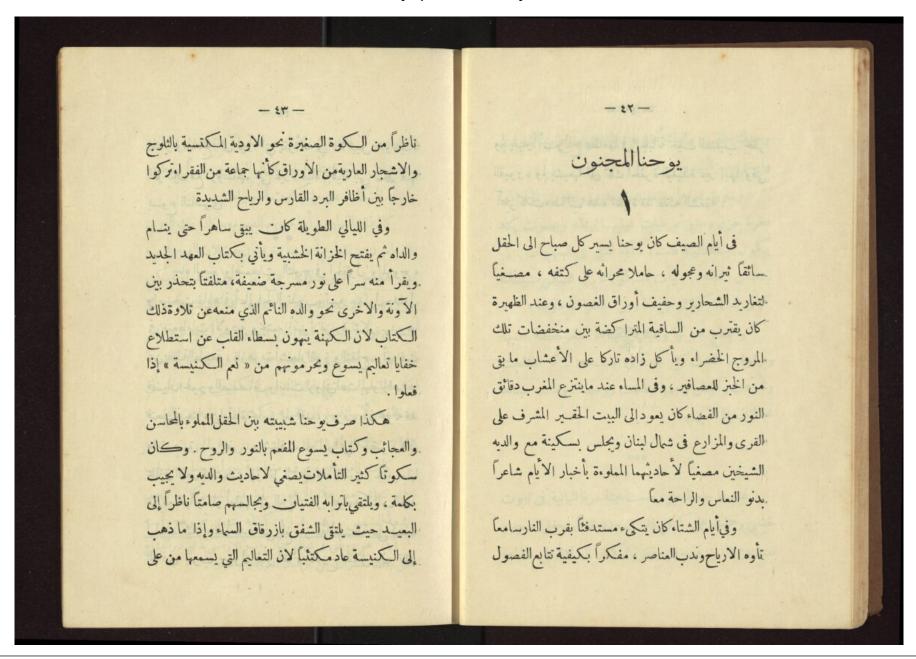


الليل طالباً الرجوع الى الفضاء الوسيع . . . في ذلك البيت نفوسها تنبعث مع أنفاسها: « نعم أنا مظلومة . أنا شهيدة المنفرد تركني الظلوم ورضيعي نقاسي مضض الجوع والبرد الحيوان المختبى في الانسان أنا زهرة مسحوقة تحت الاقدام. والوحدة ، لامعين لناغير البكاء والنحيب ، ولاسميرسوي كنت جالسة على حافة ذلك الينبوع عند ما مر راكباً . . قدخاطبني بلطف ورقة وقال لى اني جميلة وأنه قد أحبني فلا الخوف والهواجس . . . وعلم رفاقه بمكاني وعرفوا بعوزي يتركني، وان البرية مملوءة وحشة والاودية هي مساكن وضعفي فجاء الواحد بعد الآخر وكل يبتغي ابتياع العرض الطيور وبنات آوى .. ثم ألوى على وضمى إلى صدره و قبلى، بالمال وأعطاء الخبز لقاء شرف الجسد . . . آه كم قبضت على وكمنت لم أذق لتلك الساعة طعم القبلة لأني كنت يتيمة روحي بيدي لتقديمها للأبدية ، ثم افلتها لأنها لم تكن لي متروكة .. اردفني خلفه على ظهر الجواد وجاء بي الى بيت وحدي ، فشريكي بهاكان ولدي الذي أبعدته السماء عنها الى جميل منفر د ثم أتى بالملابس الحريرية والعطور الزكية والمآكل هذه الحياة مناما أقصتني عن الحياة وألقتني في أعماق هذه اللذيذة والمشارب الطيبة . . . فعل كل ذلك مبتسما سانواً الهاوية . . والآن هو ذا الساعة قد دنت وعريسي الموت بشاعة أمياله وحيوانية مرامه بالكلام اللطيف والاشارات قد جاء بعد هجرانه ليقودني الى مضجعه الناعم » المستحبة . . . وبعد أن أشبع شهواته من جسدي وأثقل وبعد سكينة عميقة تشابه مس الأرواح المتطابرة بالذل نفسي غادرني تاركافي أحشائي شعلة حية ملتهبة تغذت رفعت عينها المحجوبتين بظل المنية وقالت بهدوء: « أيها من كبدى ونمت بسرعة ثم خرجت الى هذه الظلمة من العدل الخفي، الكامن وراء هذه الصور المخيفة ، أنت بن دخان الاو جاء ومرارة العويل. وهكذا قسمت حياتي أنت السامع عويل نفسي المودعة وندا، قلى المتهامل، منك إلى شطرين شطر صعيف متألم وشطر صغير يصرخ في هدوء











الهضاب (١) فتفرقت عجوله مرتعبة الاعشاب، وجلس المنابر والمذابح هي غير التي يقرأها في الانجيل، وحياة مستنداً إلى صخرة يتأمل تارة بحمال الوادي وطوراً بسطور المؤمنين مع رؤسائهم هي غير الحياة الجميلة الي تكلم عنها كتابه المتكلمة عن ملكوت السماوات يسوع الناصري كانذلك النهارمن أواخر أيام الصوموسكان تلك القرى المنقطعون عن اللحوم أصبحوا يترقبون بفضلات الصبرمجي جاء الربيع واصمحلت الثلوج في الحقول والمروج، عيد الفصح. أمايوحنا فمثل جميع المزارعين الفقراء لميكن وأصبحت بقاياهافي أعالي الجبال تذوب وتسير جداول جداول يفرق بين أيام الصيام وغيرها ، فالممر كله كان صوماً طويلا فى منعطفات الاودية وتجتمع أنهراً غزيرة تشكلم بهديرها عنده. وقوته لم يتجاوز قط الخبز المعجون بعرق الجبين والثمار عن يقظة الطبيعة ، فازهرت أشجار اللوز والتفاح، وأورقت المبتاعة بدم القلب، فالانقطاع عن اللحوم والما كل الشهية كان طبيعياً ، ومشتهيات الصوم لم تكن في جسده بل في قضبان الحور والصفصاف وانبتت الروابي أعشابها وازاهرها فتعب يوحنا من الحياة بحانب المواقد ، وعرف بأن عجو له قد عواطفه، لانها تعيد الى نفسه ذكرى مأساة «ابن البشر» وبهالة حياته على الارض ملت ضيق المرابض، واشتاقت الى المراعي الخضراء لان كانت العصافيرتوفرف متناجية حول وحنا وأسراب مخازن التبن قدشحت وزنابل الشمير قد نفدت. فجاءو حلها الحمام تتطاير مسرعة والزهور تمايل مع النسيم كأنها تتحم من معالفها وسار أمامها الى البرية ساتراً بعباءته كتاب العهد باشمة الشمس. وهو يقرأ في كتابه بتمعن ثم برفع رأسه الجديد كيلا يراه أحد، حتى بلغ المرجة المنبسطة على كتف (١) هو دبرغني في شمالي لبنان واسع الاراضي يدعى دبراليشاع الوادي بقرب حقول الديو القائم كالبرج الهائل بين تلك النبي يقطنه عشرات من الرهبان المعروفين بالحليين



سأله قائلا: « هل رأيت مجولا سائرة بين هذه البساتين ويرى قبب الكنائس في المدن والقرى المنثورة على جانبي. يا أبتاه » فنظر اليه الراهب متكلفاً اخفاء حنق وأجاب الوادي ويسمع طنين أجراسها فيغمض عينيه وتسبح نفسه فوقأشلاء الاجيال الىأورشليم القديمة متبعة أقدام يسوع بخبث « نعم رأينها فهي هناك ، تعال وانظرها » فسار يوحنا في الشوارع سائلة العابرين عنه فيجيبونها قائلين: - هنا ورا، الراهب حتى بلغا الدبر، فاذا بالعجول صمن حظيرة شفى العميان وأقام المقعدين. وهناك صفروا له أكليلامن واسعة موثقة بالحمال مخفرها أحد الرهبان وفي مده نبوت الشوك ووضعوه على رأسه - في هـذا الرواق وقف يكلم يجلدها به كيفا تحركت ، واذع يوحنا ليقودها أمسك الجموع بالامثال. وفي ذلك القصر كتفوه على العمود الراهب بعباءته والتفت نحو رواق الدير وصرخ بأعلى صوته وبصقوا على وجهه وجلدوه – في هذا الشارع غفرللزانية « هو ذا الراعي المجرم قد قبضت عليه » فهرول القسس خطاياها، وفي ذاك وقع على الارض تحت أثقال صليبه والرهبان من كل ناحية يتقدمهم الرئيس وهو رجل عتاز ومرت الساعة ويوحنا يتألمم الاله الانسان بالحسد عن رفاقه بنحافة أثوابه وانقياض سحنته وأحاطوا بيوحنا ويتمجد معه بالروح ، حتى إذا ما انتصف النهار قام من. كالحنود المتسابقة إلى الغنيمة ، فنظر يوحنا إلى الرئيس وقال مهدوء « ماذا فعلت لأ كون مجرما ولماذا قبضم علي » مَكَانُهُ وَنَظُرُ حُولُهُ فَلْمَ يُرْ عَجُولُهُ فَشَى مَتَلَقَتًا إلَى كُلُّ نَاحِيةً ﴿ مستغرباً اختفاءها في تلك المروج السهلة. ولما بلغ الطريق فأجابه الرئيس، وقد بانت القساوة على وجهــه الغضوب المنحنية بين الحقول انحناء خطوط الكف رأى عن بعد و بصوت خشن أشبه بصرير المناشير قال قدار تعت عجولك رجلاعلابس سوداء واقفاً بين البسانين ، فاسرع نحوه ولما زرع الدير وقضمت قضبان كرومه فقبضنا عليك لأن اقترب منه وعرف أنه أحد رهبان الدير حياه باحناء وأسهثم الراعي هو المسئول عما تخزيه مواشيه » فقال بوحناا



مستعطفا « هي بهائم لا عقل لها يا أبناه ، وأنا فقير لا أملك كنت أم غنياً فلا تستحلفني بالاشياء المقدسة لاننا أعرف غيرقوي ساعدي ، وهذه العجول ، فاتركني أقو دهاوأسير منك باسر ارها وخفاياها وإن شئت أن تقود عجو لك من واعداً إياك بألا أجي، الى هذه المروج مرة أخرى » فقال هـ ذه المرايض فافتدها بثلاثة دنانير لقاء ما التهمت من الرئيس وقد تقدم قليلا إلى الامام ورفع بده نحو السماء : الزرع » فقال يوحنا بصوت مختنق: « انني لا أملك بارة « ان الله قد وضعنا همنا ، ووكل الينا حماية أراضي مختاره واحدة ياابتاه. فاشفق على وارحم فقري « فأجاب الرئيس البشاع العظيم فنحن تحافظ عليها ليلا ونهاراً بكل قوانا لانها بعد أن مشط لحيته الكثيفة بأصابعه : » اذهب وبع قسما مقدسة وهي كالنارتحرق كل من يقترب منها ، فاذا امتنعت من حقلك وعد بثلاثة دنانير فخير لك أن تدخل السماء بلا عن محاسبة الديرانقلبت الاعشاب في أجواف عجولك سموما حقل من أن تكتسب غضب البشاع العظيم باحتجاجك آكلة ، ولكن ليس من سبيل الى الامتناع لا أننا نبقي أمام مذبحه وتهبط في الآخرة الى الجحيم حيث النار بهامًك في حظير تناحتي تفي آخر فلس عليك » فسكت يوحنادقيقة وقدأ برقت عيناه وانبسط محياه متوسلا: « أستحلفك ياسيدي بهذه الايام المقدسة التي تألم وتبدلت لوائح الاسترحام بملامح القوة والارادة فقال فيهايسوع وبكت لاحزانهامريمأن تتركني اذهب بعجولي. بصوت تمتزج فيه نغمة المعرفة بعزم الشبيبة : « هل يبيع لاتكن قاسي القاب على فانا فقير مسكين والديرغني عظيم فهو الفقير حقله منبت خبزه ومورد حيانه ليضيف عنه الى يسامح تهاملي ويرحم شيخوخة والدي » فالتفت اليه الرئيس خزائن الدر المفعمة بالفضة والذهب ؟ أمن العدل أن يزداد وقال مهزء: « لا يسامحك الدير عثقال ذرة أمها الجاهل فقيراً الفقيرفقرأ ويموت المسكين جوعاكما يغفر البشاع العظيم (٤ - عرائس المروج)

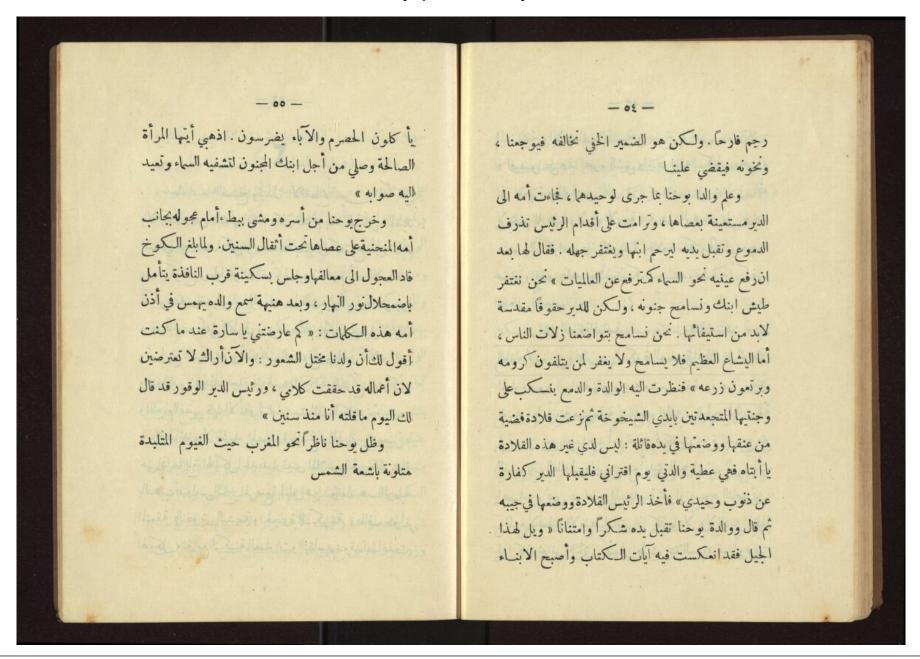


ذنوب مهام جائعة ؟ » فقال الرئيس هازاً رأسه استكماراً: متمردة على الله. قد قد تموني مخياتة إلى هذا الكان المملوء هكذا يقول يسوع المسيح «من له يعطى ويزاد ومن ليس له بآ أمكم، وكمجرم قبضتم عليٌّ من أجل قليل من الزرع يۇ خذمنه » تستنبته الشمس لي ولكم على السواء. ولما استعطفتكم باسم يسوع واستحلفتكم بايام حزنه واوجاعه استهزأتم يي سمع يوحنا هذه الكلمات فاضطرب قلبه في صدره ، وكبرت نفسه ، وتعالت قامته عن ذي قبل ، كأن الارض قد كأني لم أتكلم بغير الحافة والجهالة. خذوا وابحثو في هذا الكتاب وأروني مني لم يكن يسوع غفوراً. اقرأوا هذه عت تحت أقدامه ، فانتشل الأنجيل من جيبه كما يستل المأساة الساوية واخبروني أين تكلم بغير الرحمة والرأفة . الجندي سيفه للمدافعة ، وصرخ قائلا : « هكذا تتلاعبون بتماليم هذا الكتاب أيها المراءون. هكذا تستخدمون اقدس أفي موعظته على الجبل ، أم في تعاليمه في الهيكل أمام ما في الحياة لتعميم شرور الحياة ، فويل لكم إذ يأتي (ابن مضطهدي تلك الزانية المسكينة ، أم على الجلجلة عند ما البشر) ثانية ويخرب اديرتكم ويلقي حجارتها في هذاالوادي بسط ذراعيه على الصليب ليضم الجنس البشري. انظروا محرقاً بالنار مذابحكم ورسومكم وتماثيلكم، ويل لكم من ياقساة القلوب إلى هذه المدن والقرى الفقيرة ، ففي منازلها دماءيسوع الزكية ودموع أمه الطاهرة إذ تنقل سيلا عليكم يتلوى المرضى على اسرة الاوجاع ، وفي حبوسها نفني وتجرفكم الى أعماق الهاوية. ويل وألف ويل لكم أيها أيام البائسين، وأمام أبوابها يتضرع المتسولون، وعلى الخاضعون لاصنام مطامعكم ، الساترون بالاثواب السوداء طرقها ينام الغرباء، وفي مقابرها تنوح الارامل واليتاى، اسوداد مكرهاتكم ، المحركون بالصلاة شفاهكم وقلوبكم وأنتم ههنا تتمتمون براحة التواني والكسل، وتتلذذون جامدة كالصخور ، الراكعون بتذلل أمام للذابح ونفوسكم بُمَارِ الحقول وخمور الكروم : فلم تزوروا مريضاً ، ولم

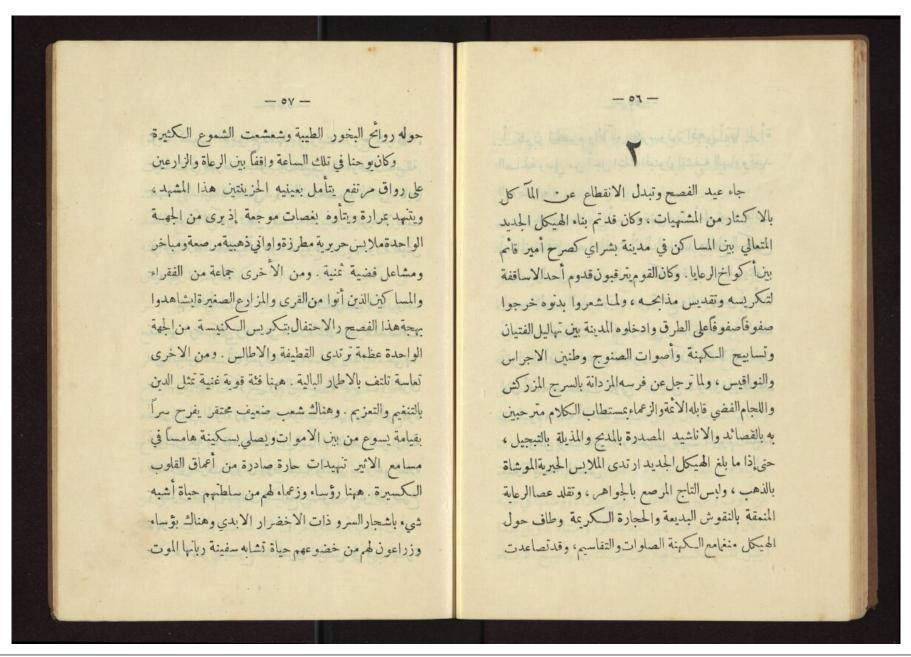


المتشامخة والانصاب اليابسة ، صرخ الرئيس بهم قائلا : تفتقدوا سجيناً ، ولم تطعموا جائماً ، ولم تؤاووا غريباً ، ولم « اقبضوا على هذا المجرم الشقى وانز عو امنه الكتاب وجروة تعزوا حزيناً: وليتكم تكتفون عما لديكم وتقنمون عما الى حجرة مظامة من الديو فن يجدف على مختاري الله اغتصبتم من جدودنا باحتيالكم ، فانتم تمدون اياديكم كما تمد لا يغفر له همنا ولا في الابدية » فهجم الرهبان على يوحنا الافاعي رؤوسها وتقبضون بشدة على ماوفرته الارملةمن هجوم الكواسر على الفريسة وقادوه مكتوفاً الى حجرة عمل بديها وما ابقاه الفلاح لايام شيخوخته » ضيقة واقفلوا عليه بعدأن انهكوا جسده بخشونة أكفهم وسكت يوحنا ريثما استرجع انفاسه ثم رفع رأسه ورفس أرجلهم بفخر وقال بهدوء: أنتم كثار ههنا وأنا وحدي افعلوا في تلك الغرفة الظامة وقف يوحنا وقفة منتصر توفق بي ما شئتم فالذئاب تفترس النعجة في ظامة الليل لكن العدو لاسره، ونظر من الكوة الصغيرة المطلة على الوادي آثار دمائها تبقي على حصبا، الوادي حتى بجي، الفجر وتطلع المملوء بنور النهار فتهلل وجهه وشعر بلذة روحية تعانق نفسه وطمأنينة مستعذبة تمثلك عواطفه ، فالحجرة الضيقة كان يوحنا يتكلم وفي صوته قوة علوية توقف في لم تسجن غير جسده ، أما نفسه فكانت حرة تتموج مع أبدان الرهبان الحركة وتثير في نفوسهم الغيظ والحدة، النسيم بين الطلول والمروج، وأيدي الرهبات التي آلمت ومثل غربان حائمة في أقفاص ضيقة كانوا وتجفون غضباً اعضاءه لم تمس عواطفه المستأمنة بجوار يسوع الناصري. واسنانهم تصرف بشدة مترقيين من رئيسهم اشارة والمرء لاتعذبه الاضطهادات إذا كانعادلا ولاتفنيه المظالم لمزقوه تمزيقاً ويسحقوه سحقاً ، حتى اذا ما انتهى من اذا كان بجانب الحق ، فسقراط شرب السم مبتسماً وبولس كلامه وسكتسكوت العاصفة لعد تكسير هاالاغصان

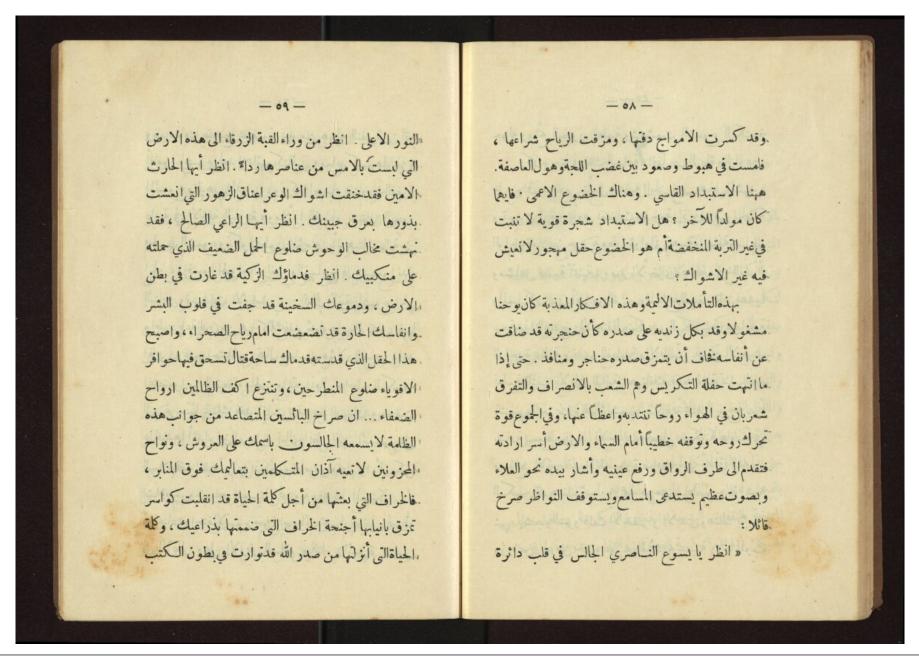












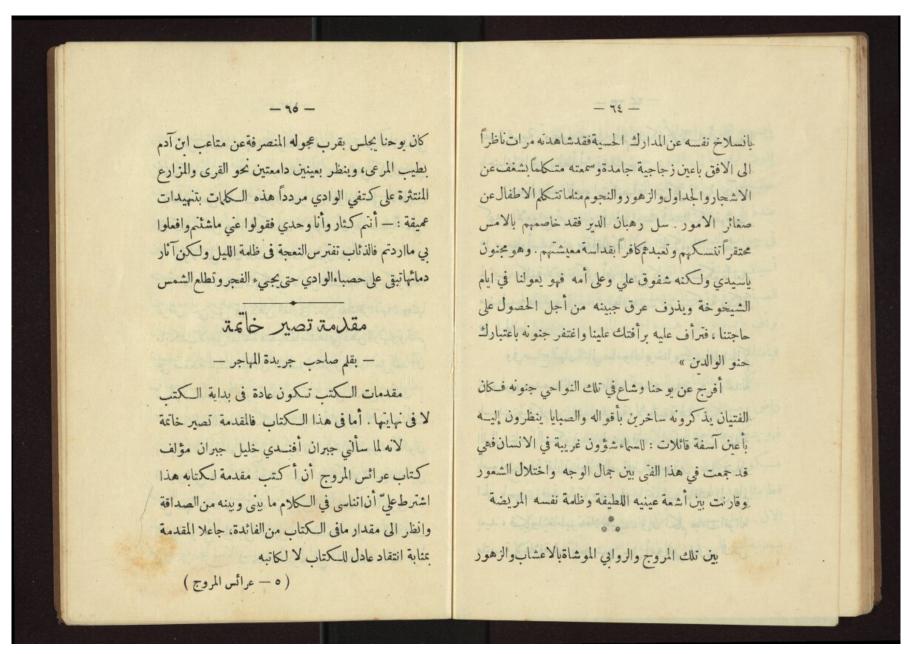


-11-وقام مقامها ضجيج مخيف ترتعد من هوله النفوس: لقد متمحد أبوك السماوي بان الفظ اسمه الشفاه الاثيمة والالسنة أقاموا يايسوع لمجد اسمائهم كنائس ومعابد كسوهابالحرير الكاذبة ؛ وهل على الارض سالم وابناء الشقاء في الحقول المنسوج والذهب المذوب، وتركوا اجساد مختاريك الفقراء يفنون قواهم امام وجه الشمس ليطعموا فم القوي وبملأوا عارية في الازقة الباردة، وملا وا الفضاء بدخان البخور جوف الظالم؟ وهل بالناس مسرة والبؤساء ينظرون بأعين ولهيب الشموع وتركوا بطون المؤمنين بألوهيتك خالية من كسيرة الى الموت نظرة المفاوب الى المنقذ. ما هو السلام الخبز، وافعموا الهواء بالتراتيل والتسابيح فلم يسمعوا نداء يايسوع الحلو ؟ هل هو في اعين الاطفال المتكثين على اليتاى وتنهيدات الارامل ... تعال ثانية بايسوع الحي صدور الامهات الجائمات في المنازل المظامة الباردة ؟ أم واطرد باعةالدين من هيا كلك فقد جعلوها مغائر تتلوى فها في اجساد المعوز تن النائمين على أسرة حجرية يتمنون القوت أفاعيروغهم واحتيالهم. تعال وحاسب هؤلاء القياصرة فقد الذي يرمى به قسس الدير الى خنازيوهم المسمنة ولا بحصلون اغتصبو إمن الضعفاء مالهم وما لله . تمال وانظر الكرمة عليه ؟ ماهي المسرة بايسوع الجيل أبان يشتري الامير بفضلات الفضة قوى الرجال وشرف النساء، أو بأن نسكت التي غرستها يمينك فقدأ كات جذوعها الديدان وسحقت عناقيدها أقدام ابن السبيل. تعالى وانظر الذين ائتمنتهم على ونبقى عبيداً بالنفس والجسد لمن يدهشون أعيننا بلمعان ذهب أوسمتهم وبريق حجارة خواتمهم وأطالس ملابسهم . السلام فقد انقسمواعلى ذواتهم وتخاصموا وتحاربوا ولمتكن اشلاء حروبهم غير نفوسنا المحزونة وقلوبنا المضنكة . . . أم بان نصرخ متظامين منددين فيبعثون الينابا ثباعهم حاملين فياعيادهم واحتفالاتهم يرفعون اصواتهم بحسارة قائلين المحدلله علينا بسيوفهم وسنابك خيولهم فتنسحق اجساد نسائنا في الاعالي وعلى الارض السلام وبالناس المسرة . . فيل وصغارنا وتسكر الارض من مجاري دمائنا ... امدد يدك

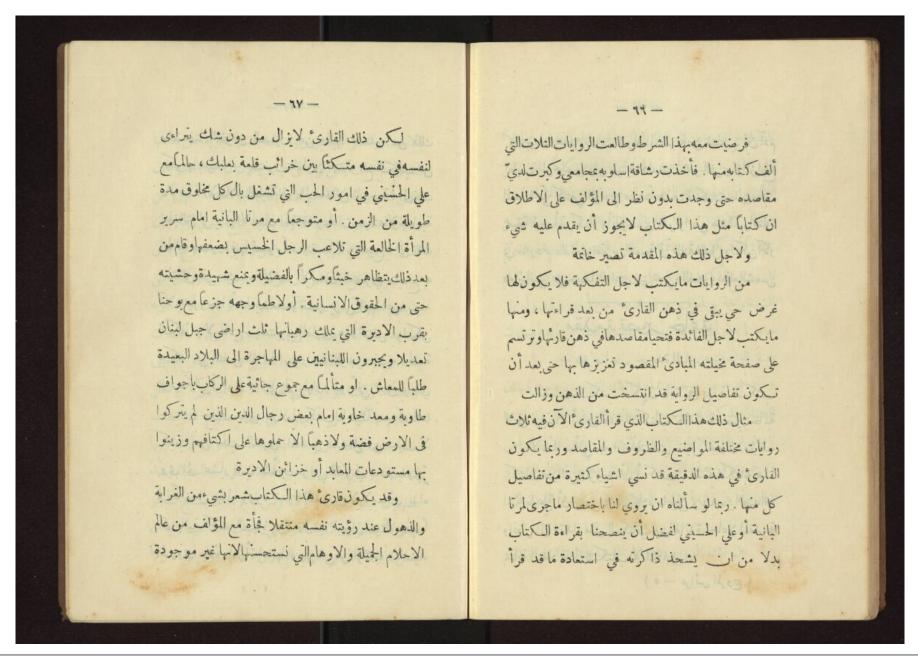


بقوة غريبة . وغيره يجيب : نعم ولكن الرؤساء أعرف منا يايسوع القويواحمنا لأن يد الظلوم قوية علينا. أو ارسل باحتياجاتنا فن الخطأ أن نشك بهم الموت ليقودنا إلى القبور حيث ننام براحة مخفورين بظل وبينها هذه الاصوات تتصاعد من كل ناحية وتتآلف صليبك إلى ساعة مجيئك الثاني لان الحياة ليست حياة كهديرالامواج ثم تضيع في الهواء جاء أحدال كمنة وقبض عندنا بل هي ظامة تتسابق فيها الاشباح الشريرة وواد تدب على يوحناوأ سامه للشرطة فقادوه الى دارالحاكم، ولما استنطقوه في جوانبه الثعابين المخيفة. ولا الايام أيام عنــدنا بل هي لم يجب بكلمة لانه تذكر أن يسوع كان سكوتًا امام أسياف سنينة بخفيها الليل بين لحف مضاجعنا ويشهرها مضطهديه فأنزلوه الىسجن مظلمحيث نام بسكينة متكئا الصباح فوقرؤوسنا عندما تقودنا محبة البقاء إلى الحقول. ترأف يايسوع على هـذه الجموع المنضمة باسمك في يوم. على الحائط الحجري وفي صباح النهار التالي جا، والديوحنا وشهد امام الحاكم فيامتك من بين الاموات وارحم ذلهم وضعفهم » كان يوحنا يناجي السهاء والشعب حوله بين مستحسن مجنون وحيده قائلا : « طالما سمعته بهذي في وحدته ياسيدي ويتكلم عن اشياء غريبة لاحقيقة لها، فكم سهر راض ومستقبح غاضب. فهذا يصرخ: لم يقل غير الحق فهو يتكلم عنا امام السماء لاننا مظلومون. وذا يقول: هو الليالي مناجياً السكون بالفاظ مجهولة ، منادياً خيالات الظامة مسكون يتكام بلسان روح شريرة . وذاك يقول : لم نسمع باصوات مخيفة تقارن تعازيم العرافين المشعوذين. سل فتيان الحي ياسيدي فقد جالسوه وعرفوا انجذاب عاقلته إلى عالم قط مثل هذا الهذيان من آبائنا وجدودنا ولانريد أن نسمعه الان. وآخر يهمس في أذن قريبه أحسست بقشعريرة بعيد ، فكاوا يخاطبونه فلا بجيب ، وإن تكلم جاءت اقواله ملتبسة لاعلاقة لها باحاديثهم سل أمه فهي ادرى الناس سحرية تهز قلي في داخلي عندما سمعت صونه فهو يتكلم











وتضعفنا النفوس الصغيرة عن طلبها فنعتذر عن ذلك بالاجساد والفقراء بالنفوس واسقط نفسهاالشريفة من مقامها بكونها بعيدة - يستغرب القارئ انتقاله مع الكاتب من السامي ثمانقاب بكل اؤم على نفسه يقول أن النساء شياطين خلقن لنا . ولا قال لنا جبران شيئًا جديدًا عندما أخبرنا عن عالم هذه الاحلام اللطيفة إلى عالم الحقائق الموجعة . الى تلك الحقائق التي يرى الانسان اخلاقه وعادات هيئته الاجتماعية رهبان يغتصبون باسم الله وقديسيه نتاج أيدي الفلاحين الحالية مصورة فها تصويراً مستقبحاً لانه صحيح. إلى تلك المساكين وبقايا تهيدات الارامل وقطرات دموع اليتامي الحقائق الني عنــدما لابجد الانسان العصري مايدفع به عرفنا كل ذلك قبل أن نعرف جبران نفسه ولكن من آلام جروحها يأخذ بضعف وتقصير يرميكانها المجيدبهمة ذا يلوم جبران على عدم اتخاذه موضوعاً جديداً لا الوبه الكفر والالحاد - يستغرب المقارئ هذا التنقل. ولكن الجديد. ان كان يوجد من يلومه فنحن نقول له أخطأت هكذا هي النفس الفاهمة اسرار هذا الوجود تشبه الحامة ياهذا في ملامك فخفف الملام. سيبق هذا الموضوع العتيق الوديعة التي تكون تارةعلى قم الجبال وطوراً في اعماق الوادي جديداً ما زالت موحياته في الهيئة الاجتماعية قوية. وتظل ان جبران خليل جبران لم يكتب لنا شيئاً جديداً عندما الاقلام باكية من أجله حتى تجف دموع الساقطات كتب عن الحب السري المقدس الداخل من حيث لا المظلومات. وتنقرض هذه المدنية الفاسدة وتتبدل شرائعها يُرى الى اعشار قاب نشأ بين مراعي الغنم في صدر بدوي الناقصة والذين يتذمرون من أعادة تصوير تعاسة البؤساء لم تكتحل عيناه بورود خدود النساء، ولا لامست يداه عليهمأن عيتوا التماسة أولا. ومن لا يريدأن يسمع الشاعر كهربائية آكف الصبايا. ولا قال لنا جبران شيئًا جديداً متغزلا بدعوى كثرة الغزل في ثنيات الكتب عليهان اذ روى حادثة امرأة اضلها رجل غني من اولئك الاغنياء يقتل تأثير الجال في القلب البشري. فالعصفور يبق مفرداً



